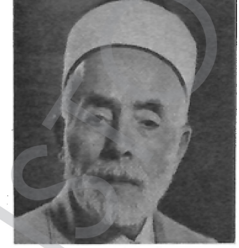
عشرة أصوات في احتفال بتكريم أحمد عارف الزين ومجلته :

شهادات في "العرفان" وسجالات "نهضوية مضمرة



احمد عارف الزين (١٨٨١ ـ ١٩٦٠)



المتكلمون



الحضور

(نبيه نصار)

اقامت «اللجنة الوطنية لتكريم المبدعين اللبنانيين» امس مهرجانا في ذكرى الشيخ احمد عارف الزين منشىء مجلة «العرفان» منذ خمسة وسبعين عاما. وقد احتشد عدد كبير من المعنيين والمهتمين في «الاسمبلي هول» في الجامعة الاميركية على اسم الراحل ومجلته الحية وكان في مقدمتهم النائب عبد اللطيف الزين ممثلا رئيس مجلس النواب حسين الحسيني والدكتور محمد علي موسى ممثلا رئيس مجلس الوزراء بالوكالة وراعي الاحتفال الدكتور سليم الحص، وصالح الدسوقي ممثلا وزير الاشغال والسياحة وليد جنبلاط.. وتقدم الحضور نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين وعدد من المشايخ والمثقفين وعائلة الشيخ احمد عارف الزين.

افتتح المهرجان التكريمي الذي استمر حوالى اربع ساعات الدكتور ابراهيم بيضون (عريف المهرجان) بكلمة عن الشيخ احمد عارف الزين و«العرفان» قال فيها ان المجلة حدث في ظلمة الجبل العاملي، عليها مسحة معاناة السنين الطويلة، لذلك فهي ملتزمة، وهي حرة اذ صاحبها ينشر احيانا ما لا يتفق مع رأيه. و«العرفان» هي مجلة البيت العاملي الكبير تدور في الدائرة العربية والاسلامية وتدعو الى الوحدة والتصدي للغرب.

بعد ذلك تعاقب على الكلام: د. محمد علي موسى (باسم الرئيس الحص)، وزيرة الثقافة السورية الدكتورة نجاح العطار (كلمة ارسلتها والقيت بالنيابة عنها)، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مدير عام وزارة الاعلام ايوب حميد باسم اللجنة الوطنية لتكريم المبدعين اللبنانيين، احمد سويد باسم اتحاد الكتاب اللبنانيين، جوزف حرب باسم المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، النقيب محمد البعلبكي باسم نقابة الصحافة اللبنانية، عبد الله قبرصي باسم المطران بولس الخوري، الدكتور هشام بساط باسم مدينة صيدا.

موسى

مما قال الدكتور محمد علي موسى: الجنوب قد ينثني الان تحت وطأة النار لكنه ما اخلف يوما مع النصر المواعيد، فمن خلال صقيع العصور تفجر فيه الفاتحون، الشيخ احمد رضا، السيد محسن الامين، الشيخ سليمان الضاهر والشيخ احمد عارف الزين، كوكبة من بناة الامجاد فاح طيبهم في كل حي وفي كل دار.. واحمد عارف الزين طلع من ظلام العصور كما طلوع الاهلة، وكالاهلة شرع في تبديد الظلام. لقد اعطى حياته كلها للناس وبهذا تكون الامجاد.

العطار

وقرأ الدكتور ابراهيم بيضون كلمة وزيرة الثقافة السورية الدكتورة نجاح العطار، التي جاء فيها:

ان تكريم الشيخ الجليل المرحوم احمد عارف الزين بمناسبة مرور ٧٥ عاما على صدور مجلة «العرفان» هو تكريم للقلم في جهده الدؤوب لاجتلاء عالم من المعرفة المتعددة الجوانب المتنوعة المصادر وهو تكريم لحامل هذا القلم الذي وقف حياته على اصدار مجلة حفلت في كل عدد من اعدادها بيانعات الثمار من عطاءات المبدعين في مراحل مختلفة من تاريخ ثقافتنا المعاصرة حتى اصبحت «العرفان» في هاجس صاحبها على اصدارها وتكريس وقته وعلمه على اغنائها بالبحوث القيمة والدراسات المعمقة ومبادرته لنشر كل جديد في الشعر والنثر من نتاج السابقين في الابداع مجلة المجلات وسجلا ضخما ضم بين دفتيه صيد طرائح خليقة بالحفظ والرعاية والتكرمة لانه دخل تراثنا الفكري والادبي على امتداد قرننا العشرين هذا.

وحين نقول جبل عامل نقول الشيخ احمد عارف الزين فقد كان قلبه ولسانه وكان متنه وعنوانه وكان صوته وبيانه ولقد شبت اجيال وشاخت اجيال و«العرفان» زادها حين وجدت فيها صدى ضميرها ومعنى صبوتها وتوق تطلعها الى وطن عربي موحد يخفق علمه عزيزا كريما في ارض استعادت وحدتها بعد تجزئة وامتلكت قوتها بعد ضعف وحققت استقلالها التام الناجز.

شمس الدين

وقال الشيخ محمد مهدي شمس الدين: لعل من حسن طالعنا هذه الايام في لبنان ان نحتفل بذكرى تاسيس «العرفان» وذكرى حياة مؤسسها المرحوم الشيخ احمد عارف الزين... «العرفان» التي صدر عددها الأول في سنة ١٩٠٩ ميلادية والشيخ الزين الذي ولد في سنة ١٨٨٣ م.

ولهذه التواريخ دلالتها في حياتنا. والمقارنة بينها وبين يومنا هذا ترسم عدة خطوط بيانية بين ما كان الحال عليه وما آل الامر اليه. ان على مستوى العالم الاسلامي (الخلافة العثمانية) او على مستوى العالم العربي العثماني الذي كان موحدا آنذاك. وان بالاحساس بالخطر والتصدي له، وعلى مستوى الرجال والنساء الذين شكلوا شعبنا في ذلك الحين.

في وقت ولادة الشيخ، في بداية القرن الرابع الهجري، كانت ذروة الهجمة الاستعمارية على العالم الاسلامي، وعلى العالم العربي الذي لم يكن قد ولد بعد. كانت كل ذخيرة العلم تعبر عن نفسها بالهجمة التي بدأت باقتحام نابليون لمصر وتاسيس شركة الهند الشرقية في الهند، والهجمة الفرنسية على شمال افريقيا.

في صميم كل التحرك الاستعماري هذا، كان يولد ويتكون جنين وحشي شرس، كانت تتكون الحركة الصهيونية وتشحذ اظافرها وتحاول غرسها في ارضنا فلسطين، هذه هي الصورة وهذا هو الواقع الذي ولد فيه الشيخ احمد عارف الزين، وبعد ستة وعشرين عاما من ولادته ولدت «العرفان».

اي لبنان كان آنذاك؟ لبنان ١٩٢٠ لم يكن قد ولد بعد، وكذلك لبنان ١٩٤٣.

وحين نأتي الان، ماذا نجد؟

نجد ان الجنين الصهيوني ولد وترعرع ونما وتعملق واصبح حقيقة، ليس كمؤسسة رمزية في فلسطين، بل حتى يكاد ان يكون كل العالم العربي من خلال وجوده المادي والسياسي والارهابي، فهو ليس في فلسطين والاراضي العربية المحتلة وحدها بل ايضا في كل قصر للحكم او وزارة دفاع او وزارة خارجية عربية.

العالم العربي العثماني، الذي كان المسافر يسير فيه من طنجة الى عدن دون ان يحس بالغربة، او بالتمايز او بالحدود، اصبح هذا العالم يسير من صيغة لامركزية عثمانية، الى الصيغة الوهم التي سار فيها الملك حسين الأول (الشريف حسين) وساهمت في وقوع البلاد العربية والاسلامية في فخ الاستعمار.. الى ما ترون من اننا نكافح الكانتونات والامارات الطائفية والعرقية في لبنان، وشبح ذلك في العالم العربي.

تلك الفترة كانت تمثل حالة الهمود في جسم الامة الاسلامية او في جسم الامة العربية مما مكن من تحطيم الخلافة العثمانية.

في تلك الفترة ايضا وجد: الشيخ عبد الحميد بن باديس، عبد الكريم الخطابي السنوسي، المهدي في السودان، جمال الدين الافغاني، محمد اقبال، ومحمد علي جناح وغيرهم. وهؤلاء كانوا اصواتا تجد اذانا مصغية، وشكلوا الرد الاول على التحدي في البلاد السورية التي منها لبنان ١٩٤٣، ولبنان ١٩٢٠ ولبنان الصغير.. ووجد ايضا مع هؤلاء احمد عارف الزين ووجدت مؤسسة «العرفان» فلو لم تكن هناك روح وحميا تستقبل عقل وقلب وتطلعات احمد عارف الزين ومؤسسته لما وجدت «العرفان» التي تجاوزت صيدا والجنوب ولبنان لتغدو مؤسسة في العالم العربي وفي حواضر العلم والفكر في العالم الاسلامي.

في زمان الهمود، ينطلق هذا الصوت ويجد سوقا، ويجد قلبا لدى الكثيرين. والان في هذا الزمان في العالم الاسلامي والعالم العربي ولبنان، ماذا يجري؟

هل يتمتع اهل هذا الزمان، زمان النهضة والثروة والقوة، زمان وزارات الدفاع الثلاث والعشرين والثلاث وعشرين وزارة خارجية.. هل يتمتع الناس بنفس القوة والشعور بالتصدي الذي تمتع بها نساء ورجال وشبان ذلك؟.

ما هو الفكر الذي تشتمل عليه «العرفان» في المسألة الاسلامية والعربية والفلسطينية، وما هو الفكر الذي يروج اليوم في هذه المسائل.

لم تتحدث «العرفان» ذلك الحين في المسألة اللبنانية! كان فكر «العرفان» في تلك الفترة ضد «الجهل» وكانت الروح روح الانفصال عن الغرب. كما عند اقبال والمهدية وابن باديس، اذ لا نجد ان هؤلاء يلتمسون جسورا للتفاهم مع الغاصبين بل يؤكدون على انفصالهم والتصدي.. لم يبحثوا عن صيغة مصالحة مع واقع الهزيمة بل بحثوا عن صيغة مواجهة.. حين يقرأ الفكر المعاصر الان في لبنان (فكر عبد الحسين شرف الدين وعبد الحميد كرامي وغيرهم) لا تجدون صيغة مصالحة واكتشاف المشاركات، كانت صيغة انفصال ومحاولة بناء الذات.

ابن شحور الشيعية المتوالية المتخلفة المهجورة المجهولة. وليس لها موقع على خارطة لبنان ذلك الحين (اكانت شحور في لبنان الستة الاف سنة؟) لم ينطلق من شحور ولم ينطلق من صور او بنت جبيل، بل انطلق من صيدا السنية ولم يكن امام مسجد (رفض ان يؤسس مسجدا للشيعة في صيدا). وهذا يكشف ان النخبة في ذلك الحين لم تكن طائفية. فالسنية والشيعية في تطلعات النخبة لم تكن موجودة.

و «العرفان» مجلة اسلامية ، لكن خطابها اتسع لغير المسلمين انطلاقاً من رحابة الاسلام مجلة عربية يكتبها عرب وحملت هماً عربياً لكنه كان عربياً ، فلم تكن له حدود ووزارات خارجية ووزارات دفاع . كان يتطلع الى جسم واحد قوي . اما ان تصل التجزئة في العالم الاسلامي والعربي الى ان تعيش هاجس الخوف في لبنان وغير لبنان من حكومات طائفية فهذا لم يكن في مخيلة اولئك الناس .

بين ١٩٠٩ و ١٩٨٧ ما هي محصلة الامة ؟

كان ذلك الجيل اشرف منا واقوى منا واصفى نظراً واكثر صدقاً .

وماذا يصنعون عندنا الآن ؟

الآن يوجد مفكرون ومراكز ابحاث ومؤسسات بكاملها في كل ما يسمى دولة عربية تفلسف ما يسمى وطنية واستقلالا حتى منظمة التحرير الفلسطينية تفلسف كيف يكون استقلال القرار الفلسطيني . نفلسف التجزئة وما هو اقبح من ذلك نفلسف فكرة الاستسلام الحقيرة وكيف يضع الاسرائيلي الغلّ في اعناقنا تحت ستار الدولة الآمنة في مناطقنا .

احمد عارف الزين وصحبه ما فلسفوا الهزيمة ولا الاستسلام . كانوا يحاولون التغلب على اسباب ضعفنا و «العرفان» كانت جوابا على تحد ولم تكن وسيلة من وسائل التبرير . فبين ولادة الزين وصدور العرفان كان الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني رحمه الله يرفض اعطاء شبر من فلسطين الى هرتزل والصهاينة .

الآن اللقاء الاخير في بودابست او بوخارست ، وصل الى حدّ المعانقة . هناك «قوادون» يهيئون اللقاءات المحرمة لاجل ان يعطوا شرعية للاستسلام .

عبد الحميد الثاني مظلوم يجب ان يعاد درسه : كانت الخلافة في ادنى حالات ضعفها مع ذلك رفض عبد الحميد اعطاء شبر من فلسطين . ودفع عرشه ثمنا لذلك . ونحن لا نشك بذلك .

الآن ماذا يجري ؟

اللهاث وراء المؤتمر الدولي ؟ تطبيقات على مستوى العالم كله من اجل المؤتمر الدولي ؟ استجداء المؤتمر الدولي .

الآن نحن نلبس ثياباً افضل ولكننا بالتاكيد لا نملك مصيراً افضل ولا كرامة افضل . وليس عندنا مستقبل. وأحب ان يُفهم «مضمون» العرفان من هذه الزوايا .

ودعا الشيخ شمس الدين اخيرا الى مناصرة مجلة «العرفان» ومساعدتها لتستمر «فهي منارة لا يجوز ان تنطفىء» وشرط المساعدة بعدم الارتهان .

حميد

عرض مدير عام الاعلام ايوب حميد في كلمته لحياة الشيخ احمد عارف الزين ووجوه نشاطه ، وفي ابرز ذلك «العرفان» .

وقال ان الشيخ الزين راسل كبريات الصحف العربية قبل انشائه «العرفان» ومعها دخل الصحافة وميدان الفكر ومعترك الحياة السياسية والاجتماعية ، وقد اعتبر الصحافة راية للحق فلم يلتفت الى كسب رخيص ، فمنعت مجلته وضيق عليه وعليها .

وعرض حميد لافكار الشيخ الزين الاصلاحية الوطنية والقومية والاسلامية وتحدث عن مشاركته في التقريب بين المذاهب الاسلامية وايمانه بوحدة الاديان المساوية .

سويد

وتحدث سويد عن احمد عارف الزين المناضل ضد الاستعمار والمتسامح الديني الذي فهم الاسلام نقيضاً للتعصب ودعوة لتفتح العقل ودرعاً لحرية الفكر ،

قال سويد :

يا شيخ العرفان والعارفين ،

من لنا يخرجنا من هذه الادغال ؟

ايد مجرمة ترفع جدران الكراهية بين الضلع والضلع

والسلام الذي هو شعار الاسلام كما فهمته انت شاؤوا لنا ان نرتضيه على انه طمأنينة الاغنام .

لقد اشرفنا على نهاية الزمان . منا من تصهين ومنا من عبد الدولار ، ومنا من راح يدور حول الشعار ، ومنا من ضرب حوله نسيج العنكبوت والانانية ، وهناك في الجنوب نبضة فهل تكون ارهاصاً بنهاية الزمان وبداية الزمان .

حرب

ومما جاء في كلمة جوزف حرب:

ما اقسى ان نذهب الى احمد عارف الزين ونهتف به ، قم من قبرك سنحتفل اليوم بك ؟ حتى اذا غادر الخطباء ذؤابة المنبر واغلقت الزوايا صناديقها على ما خبات من صدى الاكف . قلنا له : كنت لنا اليوم تجارة رابحة ، وقد اقفرت السوق فعد رحمك الله الى قبرك .

اي بلد هو هذا ؟

لم يعش كبارنا الامصابيح ولم نات من بعدهم الا ريحاً لتطفئها .

وان شعباً عربياً كلبنان ستظل شموس كل العرب كل الشعوب شاحبة ومستعارة في سمائه ان هو فتح سماءه لها على حساب انطفاء شموسه .

ولو ان المحيط والخليج استويا اليوم ومر امامهما بلد عربي بعده بلد عربي ، وسالانا اين كباركم انتم . لخفضنا الطرف ولم يشفع لنا عندئذ اننا نهتف باسم العروبة .

ان حبنا للامام علي والخليفة عمر ولصلاح الدين وعبد الناصر وللمعري وللعروبة والاسلام والمسيحية لا يفيد ان لم نقف امامهم جميعا وفي يسارنا قميص عمر حمد وفي يميننا الابطال الشعبيون وكلمات الامام الاوزاعي والريحاني والفاخوري وشكيب ارسلان . وفي ارواحنا سكينة قنوبين ويمامة الجامع العمري وحسينيات ائمة الجنوب .

ونهتف : نحن مسلمون بهؤلاء مسيحيون بهؤلاء ولبنانيون بهؤلاء وعروبيون بهؤلاء ونقاوم اسرائيل بهؤلاء.

ان امة تسير وكبارها الموتى قبل كبارها الاحياء هي امة لن تصل الى الشمس .

ووالله لو هو اليوم حي يسعى لخرج الينا بهذه الفتوى : كل مسيحي يقتل مسلماً امام وطنه فانما يقتل مسيحيا امام ربه . وكل مسلم يقتل مسيحياً امام وطنه ، فانما يقتل مسلماً امام ربه . وان اياً منهما يقتل وطنياً امام وطنه ، فانما يأتي امام ربه الكبيرة التي لا شفاعة فيها . ففي الحديث الشريف : الخروج عن الوطن عقوبة .

فلنطلق سيرة الشيخ في الجنوب . فالجنوب لن تنصره اعظم القوى ان لم تنصره روحه البلدية .

البعلبكي

ومما قال النقيب محمد البعلبكي

حمل احمد عارف الزين لقب الشهيد الحي بسبب نجاته من مشانق السادس من ايار . انه من بناة الفكر العربي الاسلامي ، انبته جبل عامل ، وكان يقول : نحن عرب قبل ان نكون مسلمين فرقي العرب ووحدة العرب واستقلال العرب وحرية العرب دأبنا وديدننا . نحن لبنانيون وسوريون نؤمن بنهضة لبنان وسوريا ، ونحن عامليون نود ان نصعد بجبل عامل الى ذروة تعيد مجده وعلمه الذي تشد اليه الرحال .

وقال النقيب البعلبكي ان الكلمة المكتوبة عند احمد عارف الزين كانت فوق مستوى الشبهات : اعتقل عام ١٩٢٥ لمناصرته الثورة السورية ، كما اعتقله الفرنسيون ايضاً في انتفاضة ١٩٣٦ فكتب في السجن :

كرهت بني طوران في عهد حكمهم
وحببني ذا العهد في كل طوراني

وقال : ها نحن في صمود الصحافة اللبنانية دفاعاً عن حريتها نحيي ذكرى الشيخ احمد عارف الزين الذي ادرك مبكراً مخاطر الصهيونية .

وختم داعياً الى دعم «العرفان» مؤيداً دعوة الشيخ شمس الدين ، كما اطلق باسم الصحافة اللبنانية نداء الى بلدية صيدا وزعمائها لاطلاق اسم احمد عارف الزين على شارع رئيسي في المدينة واقامة تمثال له في احدى ساحاتها .

قبرصي

والقى المحامي عبد الله قبرصي كلمة باسم المطران بولس الخوري «المطران الوحيد الذي بقي في الجنوب حتى اليوم متشبثاً بالارض مباركا مواقف العز التي تقفها المقاومة» .

وقال : ان الاعمار الطويلة للصحف وللكتب لدليل على ان جذورها مغروزة في قلب الحقيقة وقلب الحياة .

ونقل عن المطران الخوري انه عرف الشيخ الزين في بيت شقيقه مؤسس عصبة العمل القومي العربي ، وكان الشيخ احد اركانها واكثرهم حماسة للقومية العربية .

ونقل عنه ايضاً : زرت الشيخ يوما فوجدته مع جمع من العلماء حول كتاب سالتهم عنه ، فقالوا انه كتاب جورج جرداق عن الامام علي .

وختم عبد الله قبرصي كلمته مستشهداً ببيت لشاعر الفيحاء سابا زريق :

انا عيسوي ما تشاء عقيدتي
لكنني في شرع حبك مسلم

بساط

كلمة مدينة صيدا القاها الدكتور هشام بساط فوصف الحي الذي تقع فيه مطبعة «العرفان» وادارتها ، واعطى صورة عن الخمسينات ونضالات صيدا فيها من اجل القضايا الوطنية ، وذكر ان اول مجلة رآها في بيته الابوي هي «العرفان» .

ووصف هشام بساط المجلة بانها زينت صيدا باثر ثقافي عربي واسلامي بارز .